

أثر العوامل السابقة في انتشار الإسلام

العوامل التي عرضنا لها في موضوع ظهور الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، كان لها الأثر الواضح في انتشار الإسلام ، وإقبال الناس عليه ، والدخول في دين الله أفواجا .

ونحن نوقن أن حكمة الله لا يدركها بشر ، وفي الوقت نفسه نلمس أن في مقدور البشر أن يعلنوا شيئا من هذه الحكمة ، على حسب ما يظهر لهم خصوصاً بعد ما تنكشف بعض أسرار الحكمة .

لقد أظهر الواقع الذي مضى زمنه ، قيمة هذه الاختيارات للدعوة الإسلامية ولذا يجدر أن نتعرف على أثر هذه العوامل في انتشار الإسلام عاملا عاملا ، لتتضح الرؤية ويتحقق الهدف .

أولاً : أثر اختيار الرسول ﷺ ليبلغ الإسلام في انتشار الإسلام :

لقد عرفنا أن النبي ﷺ ينتسب إلى بطن بني هاشم ، وهم بطن يقطن مكة ، ويرتبط مع سائر بطون قريش في قرابة ، ولذلك فعروبة النبي ﷺ ثابتة موطنا وجنساً ولغة ، وقد أكد القرآن الكريم هذا في آيات كثيرة ، فقوله تعالى : ﴿وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ﴾ إلى ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾^(١) يشير إلى أن مكة هي قرية النبي وموطنه ، إذ ما أضاف القرية إلى غيره ﷺ^(٢) . وقد دفع الله عن كثير من أهل مكة العقوبة في الدنيا ، لبركة

(١) سورة محمد ، آية رقم ١٣ .

(٢) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٢٠ .

ووجود الرسول نبي الرحمة^(١) . وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ..﴾^(٢) وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾^(٣) لأن الأمية صفة للعرب ، في مقابلة أهل الكتاب وهو أمي منهم^(٤) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٥) .
وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسِرُنَا لِبَلْسَانِكَ لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٦) يشير إلى لغة النبي ﷺ العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، فجعلها أكثر رسوخا .

وهذه العروبة المكينة ، تعطي للدعوة الإسلامية قوة معينة ، لأن مكة هي أم القرى ، وبها الكعبة وقد درج الناس والعرب على تقديرها ، والمشاركة في مواسمها الدينية والتجارية والأدبية ، ويعدون هذه المشاركة واجبا تجاه مكة وأهلها القرشيين الذين ينظمون أمور الكعبة ، ويحرسون الحجيج ، ويطعمونهم ، وهم لجوارهم للكعبة أهل الله ، يعرفونه فيدافع عنهم ، ويخصهم بالفضل من دون الناس^(٧) .

وبنو هاشم بطن من أوسط بطون قريش ، ويتصل بهم جميعا ، وتلك ميزة لداعية يظهر فيها ، إذ يجد نفسه مرتبطا بقرى مع سائر البطون وهذا ما كان ، ولقد أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنه - « أن النبي ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا وَلَهُ قَرَابَةٌ فِيهِ » .

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : ٧ ، ص : ٢٩٤ .

(٢) سورة الجمعة ، آية رقم ٢ .

(٣) سورة الأعراف ، آية رقم ١٥٧ .

(٤) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٢٠ .

(٥) سورة يوسف ، آية رقم ٢ .

(٦) سورة مريم ، آية رقم ٩٧ .

(٧) د . أحمد غلوش ، الدعوة الإسلامية ، ص : ١٢١ .

والقرى النسبية تدفع بدورها إلى الوحدة ، والاتجاه النفسي الواحد وتجعل رأي الفرد منها مسموعا مطاعا ، خصوصا في عصر كثرت فيه التكتلات القائمة على العنف والقوة ، لدرجة أن عرب مكة جاءوا في البداية ، وفي هدوء إلى أبي طالب ، وشكوا إليه أمر محمد ﷺ بأنه : « سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا »^(١) وبهذا كان في نظرهم يفرق ولا يجمع ، وبذلك تضعف قوتهم ، وكان الأمل أن يكونوا ومعهم محمد ﷺ يدا واحدة حتى لو جعلوه أغناهم أو ملكاً عليهم^(٢) .

لقد كان من التوضيحات الإلهية للعرب وأهل مكة : أن الله بعث فيهم رسولا منهم - وقد كرر القرآن الكريم ألفاظ ﴿ من أنفسهم ﴾ و ﴿ منكم ﴾ و ﴿ منهم ﴾ ، وذلك في معرض مخاطبتهم ، إذ يقول - سبحانه وتعالى - : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾^(٣) ويقول - سبحانه وتعالى : ﴿ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ .. ﴾^(٤) . وقال تعالى : ﴿ ...جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾^(٥) ، وكونه - صلى الله عليه وسلم - منهم وفيهم ، لا يقتضي اختصاصه بهم ، وإنما الذي تقتضيه هذه الإشارات (من أنفسهم) و(منكم) و(منهم) أن يكون العرب هم أولى الناس باتباعه ، وأسرعهم إلى ذلك ، فهو أشد الناس حنوا عليهم وأكثرهم أملا في هدايتهم ، لارتباطه بهم بأكثر من طريق ، (وله أعمام وأخوال وعمات وخالات من سائر بطون مكة)^(٦) كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج : ١ ، ص : ٢٧٧ .

محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص : ١٤٦ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج : ١ ، ص : ٣١٣ - ٣١٤ .

محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص : ١٥٣ .

(٣) سورة التوبة ، آية رقم ١٢٨ .

(٤) سورة آل عمران ، آية رقم ١٦٤ .

(٥) سورة النحل ، آية رقم ١١٣ .

(٦) ابن القيم ، زاد المعاد ، ج : ١ ، ص : ٢٦ - ٢٧ ، ط : المطبعة اليمنية بمصر .

وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ^(١) .

فهذه الآية الكريمة : تدل في صراحة على وجود أعمام ، وعمات وأخوال وخالات له في مكة ، وأنه تزوج من بناتهم المهاجرات بعد الهجرة ، وبالبحث في زوجات النبي - صلى الله عليه وسلم - القرشيات ، نجد أنهن لسن من بنات بني هاشم ولكنهن من بقية البطون ، فعائشة من بطن « تيم » ، وحفصة من بطن « عدي » وأم حبيبة من بطن « بني أمية » ، وأم سلمة من بطن « بني مخزوم » ، وسودة من « بني زمعة » ، وزينب من « بني أسد » .

فثبت بذلك أن القرابة كانت موجودة بين بطون مكة وبين بني هاشم وأن للنبي - صلى الله عليه وسلم - أخوالا وخالات وأعماما وعمات من سائر البطون ، لذا جاء الأمر من الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بأن ينذر الأقربين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٢) فدعا محمد عشيرته إلى طعام في بيته ، وحاول أن يحدّثهم ، داعيا إياهم إلى الله ^(٣) . ثم انتقل محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك بدعوته من عشيرته الأقربين إلى بطون أهل مكة بطنا بطنا ^(٤) .

قال تعالى : ﴿ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٥) فهم أقرباؤه ، لا يطلب لهم إلا الخير والمصلحة ، وعليهم ألا يعصوه ، وهو لا يسألهم

(١) سورة الأحزاب ، آية رقم ٥٠ .

(٢) سورة الشعراء ، آية رقم ٢١٤ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج : ٦ ، ص : ١٧٦ - ١٨١ .

السيوطي ، الدر المنثور ، ج : ١٦ ، ص : ٣٢٤ - ٣٢٩ .

(٤) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ، ص : ١٤٢ .

محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ج : ٢ ، ص : ٦٤ ، ط : المكتب الإسلامي بيروت ،

سنة : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

(٥) سورة الشورى ، آية رقم ٢٢ .

غرباً أو مقابلاً . وكل مايرجوه أن يؤديوا حق القرابة الموجودة بينهم وبينه .

ولقد كان لهذه القرابة أثرها الواضح في استجابة العرب لدين الإسلام إذ عرفوه بأنه صاحب النسب الرفيع العالي ، ومن هنا لا يأتي للناس إلا بما يأخذ بأيديهم إلى الصلاح . وعرف أقرباؤه أنه منهم وإليهم ، وهم أولى الناس باتباعه والاهتداء بما جاء به من عند الله - سبحانه وتعالى - فكانوا أسرع الناس قبولاً للحق والهدى .

ثانياً : أثر اختيار الأمة الأولى للإسلام في انتشار الإسلام :

لقد كان اختيار الأمة الأولى للإسلام له أثره الواضح في انتشار الدعوة الإسلامية ، فهؤلاء العرب لم يلبثوا طويلاً في عنادهم ، بل آمنوا بالدعوة والقرآن ، وأسلموا أمرهم لله . فصنع منهم في وقت قصير لا يذكر خير أمة أخرجت للناس ، تتحلى بمكارم الأخلاق ، وعظائم السلوك ، وتسعى في كل مكان لهداية البشر على نهج القرآن الكريم ، يقول مصطفى صادق الرافعي - رحمه الله - : « فالقرآن الكريم يتمكن من فطرة العرب على وجهه المعجز ، قد نزل منهم منزلة الزمان في عمله وآثاره ، لأن الذي أنزله بعلمه وقدره بحكمته إنما هو خالق الزمن نفسه ، فهدم نفوس العرب ، وكان هدمه بناءً جديداً جعل الأمة نفسها قائمة على أطلال نفسها »^(١) .

إن الدعوة الإسلامية أثمرت أكلها بظهورها في الأمة العربية إذ ناسبتها طبيعتهم البدوية الحضارية ، وأخلاقهم الرفيعة ، وشجاعتهم الحليمة الوفية ، وذكاءهم الحاد ، وفهمهم الدقيق ، وحافظتهم القوية ، إذ جاءت الدعوة إلى كل هذه المزايا فنشطتها وسمت بها ، وأزالت منها السلبات الموروثة ، فوجد العرب أنفسهم - بعد الإسلام - تلقائياً يبدلون حماسهم وقوتهم للدعوة الإسلامية ، ويعطون

(١) مصطفى الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص : ٨٦ ، ط : الخامسة دار الكتاب العربي ، بيروت ، سنة : ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

شجاعتهم وإمكاناتهم لأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي خدمة دعوته فتحركوا إلى كل مكان من أجل نشرها ، تاركين كل ما يهمهم ، وأصبح تعصبهم اندفاعا لتنفيذ أوامر الدعوة الإسلامية وتعاليمها وكان لهم من استعدادهم ما جعلهم يستفيدون بالدعوة ، ويفيدونها^(١) .

ولقد كان للبيئة العربية في شبه الجزيرة أثرها الكبير في الحركة العربية لاسيما من الناحيتين : الاجتماعية والسياسية ، ولقد اتصل ذلك بالبيئة في معناها الأعم والأشمل من ظروف الأرض والمناخ والنبات ، بل والحيوان أيضا^(٢) .

ولقد كان جليا في حكم التاريخ ، وبنزول القرآن كله في جزيرة العرب أن هذه الخصائص التي نهض بها بيان العرب ، ونبتت أخلاقهم وانتهت إلى الله حكمتهم ، لم تكن مما توفر لأمة في غير جزيرة العرب ، حتى نزل القرآن الكريم ، وحتى انطلق لها صحابة الرسول الكريم ، في مد الإسلام للتحرير وإشرافه للتنوير والتغيير ، فكان حفظ القرآن بتعلم لغة العرب ، والجهاد حول القرآن ، والجهاد بالقرآن ، طريق الإثبات لهذه الخصائص الإنسانية من خلال حركة التعريب الواسعة ، التي صاحبت انتشار الإسلام^(٣) .

فالعرب قد جمعوا بين فصاحة اللسان ، وحكمة العقل ، وجرأة القلب .. لقد اجتمعت الفصاحة والبلاغة في القول إلى حد الارتجال ، ونطقوا بالحكمة السائرة ، التي توارثها الأجيال من بعدهم ، تلك الحكمة البعيدة عن الخرافة والوهم ، وإنما هي خلاصة تجارب الحياة ، والتي تعبر عن الإنسان في كل مكان ، وكانوا رجال حرب ، لانضارعهم أمة في شجاعتهم وبسالتهن ، ومن هنا :

(١) د / أحمد غلوش - الدعوة الإسلامية - ص : ١١٣ .

(٢) د . سليمان حزين ، المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ج : ١ ، ص : ٣٨٧ ط : مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، سنة : ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٢ م .

(٣) أحمد موسى سالم ، لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ؟ ص : ٣١٩ .

اجتمعت لهم الأصول العميقة لمواهب الإنسان كلها^(١) . ما كان له أثره في انتشار الإسلام في المشارق والمغرب ، إذ قام العرب بدورهم في تعريف المجتمعات المختلفة برسالة الإسلام .

ثالثا : أثر عناية الله في اختيار المكان لظهور الدعوة في انتشار الإسلام :

لقد كان لعناية الله - سبحانه وتعالى - في اختيار المكان لظهور الدعوة أثر واضح في انتشار الإسلام فيما حول مكة ، قال تعالى : ﴿وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(٢) وهكذا يتقرر من الآية الكريمة أن أم القرى هي مركز الوسط الأمين ، لأنها تنذر بما نزل فيها من حولها ، إذ لو كانت غير ذلك ، وفي جانب وإلى ناحية ، ما كان الوجود من حولها^(٣) .

لقد كان بحق هذا المركز الوسط مصدر إشعاع لمن حول أم القرى وكان العالم حول أم القرى ، فانطلقت الرسالة الإسلامية ، لتتير السبيل وتهدى الضال .

لقد اختار الله - تعالى - هذا المكان العالمي « مكة » وأقدس وأقدم بيت هناك « الكعبة » لتكون مناخا للدعوة الإسلامية الخاتمة على يد محمد - صلى الله عليه وسلم -^(٤) .

وإعداد أول بيت وضع للناس ، ليكون منطلقا ومناخا لحياة آخر دين خاتم للرسالات والديانات قبل ظهوره ، يتفق تماما مع عهد الله - تعالى - المأخوذ على أنبيائه ، لنصرة دين الإسلام ، قبل ظهور محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى عالم الدنيا ، بقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآءَآتِيكُمْ مِنْ

(١) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ؟ ، ص : ٤٦ - ٤٧ .

(٢) سورة الأنعام ، آية رقم ٩٢ .

(٣) د . عبد الرزاق نوفل ، أم القرى مركز الوسط الأمين ، ص : ٤١ ، مقال بمجلة العرب بباكستان ، العدد الصادر في رجب ، وشعبان ، من السنة الحادية والخمسين .

(٤) عبد القادر أحمد عطا ، لماذا بعث الرسول في مكة ؟ ، ص : ٨ .

كَتَبَ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ .

فالمكان الذي ظهرت فيه الدعوة أحاطه الله بمجموعة من الظروف جعلته مكانا ملائما للدعوة الخاتمة ، لكي تنطلق في كل اتجاه ، وقد انطلقت الدعوة الإسلامية هنا وهناك ، فكان صداها في كل الأنحاء .

وترجع أهمية المكان : إلى أن الجزيرة العربية ، ملتقى مواصلات هام بين بقية أجزاء آسيا وأفريقيا ، التي تواجه أوروبا^(٢) .

وأثر الموقع الجغرافي الذي بدأت منه الحركة العربية الإسلامية سواء فيما يتصل بالبقعة التي نزل فيها الإسلام من الجزيرة العربية (الحجاز) أما بالنسبة للجزيرة العربية ، التي توسع منها العرب ، وانتشر الإسلام إلى العالم الخارجي ، فقد كان لنزول الإسلام بالحجاز بالذات - دون غيره من سائر أجزاء الجزيرة العربية ، وأركانها - أثره البعيد ، والباقي على مر الزمن ، بل أثره من حيث توحيد الجزيرة العربية في حركة واحدة ، مما ميز الإسلام على غيره من الأديان السماوية السابقة في المنطقة ، كذلك كان لارتباط الإسلام بسكان الجزيرة العربية ، والموقع الجغرافي لهذه الجزيرة أثره البعيد والباقي على مر الزمن في انتشار الإسلام شرقا وغربا ، بالبر والبحر^(٣) .

رابعا : أثر عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة في انتشار الإسلام :

لقد عرضنا - ونحن نتحدث عن عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة -

(١) سورة آل عمران ، آية رقم ٨١ .

(٢) د . محمد مصطفى النجار ، عرب الجزيرة بين الجاهلية والإسلام ، ص : ٤ ط : دار الطباعة المحمدية .

(٣) د . سليمان حزين ، المؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية ، ج : ١ ، ص : ٣٨٦ .

أن هذا الزمان ساد فيه صراع عام ، وحروب متوالية ، ولاشك في أن الحروب المتوالية المحلية والعالمية ، والخصومات المتتابة ، المذهبية والعقدية ، والتغيرات المتلاحقة ، القومية والعنصرية ، كل ذلك قد مهد للإسلام طريقه الفطري في الأرض^(١) . ولعلنا ندرك بوضوح أن الزمن^(٢) عامل خارج عن ماهية الإسلام ، لاصلة له بجوهره ، ولكنه ذو أثر فعال في دفع عجلته ، والدعاية لرسالته فإن احتكاك المسلمين بغيرهم بسبب هذه الصراعات والحروب ، كان مدعاة لتبادل الآراء وتداول النقاش ، واستعراض ما له من مزايا وأخلاق وتقاليده .

إن صراعات هذا الزمن تميزت بالشمول والعمق ، ولذلك كانت نهايتها أمنية صادقة على مستوى هذا الشمول وهذا العمق .

ومما يجدر أن نعرض له في إيجاز ، أن هذا الزمن حظي بوجود الحكماء من العرب ، وكان الطابع العام لهؤلاء الحكماء هو البحث عن الدين المستقيم والتطلع إلى الهداية السماوية .

وحكماء العرب هؤلاء هم : العلماء الذين كان يرجع إليهم فيما يعرض من مشاكل ، وهم في الجملة أعظم العرب حظا في الثقافة^(٣) .

وإذا كان ما سبق يعد من الجوانب المحدودة برغم كثرته ، فإن قريشا قد غمرتها روحانية ، ففكرت في أمر الدين وقداسته ، والبيت وحرمة ، وبعد تأمل وتدبر ابتدعت رأي الخمس . والخمس : جمع أحمس ، والأحمس : الشديد الصلب في

(١) علي عبد الرحمن الأمين ، بحث بالمؤتمر الأول لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج : ١ ، ص : ٣٥١ .

(٢) وبيان ذلك : أن الله - سبحانه وتعالى - هو الذي اختار الإسلام ليكون في هذا الزمن الذي أشرقت فيه رسالة الإسلام . ولما كان الناس في هذا الزمن لهم ما وصفنا . كان للزمن أثر كبير في انتشار الإسلام ، فكان عاملا مهما .

(٣) د . عبد الحليم محمود : التفكير الفلسفي في الإسلام ، ج : ١ ، ص : ٣٨ ، ط : الأولى ، =

الدين والقتال^(١) .

لقد وصل النضج الفكري في هذا الزمن إلى مستوى يناسب ظهور الدعوة الإسلامية ، التي جاءت لترقي بالإنسان إلى معالم الحق ، وتأخذ به إلى علائم الكمال المنشود .

لقد كانت الإنسانية تتطلع زمنا طويلا إلى دين جديد ، عادل رحيم وكان هذا الدين هو الإسلام .

لقد أفلست نظم الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأدت إلى صراع في كل بقعة من بقاع الدنيا ، مما جعل الإنسانية تتطلع إلى ما يقيم لها إنسانيتها ويحفظ لها كرامتها .

لقد كانت سنن الاجتماع البشري قد بلغت بالإنسان أشده ، وأعادته الحوادث الماضية إلى رشده ، فجاء الإسلام يخاطب العقل ويستصرع الفهم واللب .

خامسا : أثر حاجة الإنسانية إلى الإسلام في انتشار الإسلام :

الدين يجيء في أثر الدين ، والرسول يتبع الرسول ، وكل دين له ناسه المحدودون ، وزمنه الموقوت ، حتى بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - بدين للناس جميعا ، والإنسانية عامة ، وذلك حين قضت الضرورة المطلقة بإرساله وكان لامصرف عن بعثته ، ليخرج العالم كله مما كان يتخبط فيه من ظلم وضلال وباطل^(٢) .

ولولا هذه الضرورة المطلقة ، ما اتصلت السماء بالأرض برسالة جديدة هذا

= الأنجلو المصرية ، سنة : ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .

(١) المصدر السابق ، ج : ١ ، ص : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) د . محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص : ٢٢ ، ط : دار الفكر العربي ، بيروت .

الاتصال الذي هو خرق لقوانين الطبيعة ، فلا يكون إلا عند حاجة البشرية الملحة المتلهفة لدين جديد .

نعم . كان العالم في حاجة ملحة لدين جديد ، بعد أن خفت صوت الرسل السابقين وضاعت معالم الرسالات الإلهية ، التي أرسلها الله لعباده لافرق في ذلك بين بلاد العرب ، إذ يوجد بيته المحرم ، وبلاد الروم المهد الثاني للمسيحية ، وفارس ، إذ كانت المانوية والزرادشتية ، والمزدكية ، وغير هذه البلاد وتلك من أقطار العالم المختلفة . فكان من الطبيعي أن يستتبع هذا الفساد في العقيدة ، وتلك الفرق في الدين ، والاضطهاد للخارجين على مذهب الدولة والانحلال في الأخلاق ، والفساد في الإدارة ، والظلم في المجتمع .

وهذه الوجوه من الفساد ، كان لها بلا ريب أثرها في تقبل الإسلام في كثير من نواحي الامبراطورية الرومانية بقبول حسن بين المسيحيين أنفسهم إذ وجدوا فيه متنفسا لهم ، ومخلصا مما كانوا فيه من عنت وكرب^(١) .

نعم : كان من رحمة الله - كما يقول محمد عبده - بأولئك الأقوام أن يؤدبهم برسول يوحى إليه رسالته ، ويمنحه عنايته ، ويمده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ، التي أظلت رؤوس جميع الأمم^(٢) .

إن الحالة الدينية فضلا عن الحالة الاجتماعية الظالمة ، التي كانت عليها الأمم قبل الإسلام ، كانت تتطلب إنقاذا سريعا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الظلم إلى رحابة العدل ، فكان هذا المنفذ هو الإسلام^(٣) .

والإنسانية في عصرنا هذا أشد ما تكون حاجة إلى الدين الإسلامي فإن التقدم العلمي المادي الذي غزا الفضاء ، لم يستطع أن يحقق للناس السعادة والطمأنينة التي ينشدون ، بل زادهم تكالبا على المادة ، وتنافسًا جشعا جر إلى حروب .

(١) المصدر السابق ، ص : ٢٥ .

(٢) محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ص : ١٨١ .

(٣) د . محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص : ٢٦ .

فالذي نرجوه إذن لإصلاح هذا العالم الذي نعيش فيه ، بعد أن أفلست كل نظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد أن نجمت فيه فلسفات تدعو لإنكار وجود الله ، والتحلل من المسؤولية ، وفاضل الأخلاق^(١) .

إنه لا شيء غير هذا الدين الإسلامي ، فلا خلاص للإنسانية إلا بالرجوع إلى الدين الحق ، ولن نجد هذا الدين - كما أنزله الله - واضحا ميسرا ، خاليا من الغموض والتعقيد ، سليما من التحريف والتبديل ، إلا في الإسلام خاتم الرسالات الإلهية ، فهو دين الروح والمادة ، والقلب والعقل ، والفرد والجماعة ، والدنيا والآخرة^(٢) .

فإلى هذا الإسلام في عقيدته وشريعته ، في عباداته ومعاملاته ، في نظمه وأخلاقه ، ندعو البشرية كلها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَءَٰعْتَصَمُوا بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا^(٣) .

هذا الدين لا يزال العالم في حاجة شديدة إليه ، ولا خلاص للإنسانية مما تعانيه إلا بالإيمان به ، فهو الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والداعي إلى الحق ، وإلى الصراط المستقيم .
وبعد :

فهذه حقائق علمية مسلمة :

- اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليلبلغ الإسلام .
- اختيار الأمة الأولى للإسلام .
- عناية الله في اختيار المكان لظهور الدعوة .
- عناية الله في اختيار الزمان لظهور الدعوة .

(١) د . محمد يوسف موسى ، الإسلام وحاجة الإنسانية إليه ، ص : ٢٧ .

(٢) محمود شلتوت ، من توجيهات الإسلام ، ص : ٢٤ .

(٣) سورة النساء ، الآيتان : ١٧٤ - ١٧٥ .

- حاجة الإنسانية إلى الإسلام .

-أثر العوامل والاختيارات السابقة في انتشار الإسلام .

هذه الحقائق الأصلية ، قد بينت لنا فضل الله - سبحانه وتعالى - على عباده ، ورحمته بهم ، فكان ظهور الإسلام ظاهرة تجمع بين العقيدة والحركة في حيوية ، لا ينضب نبعها ، كما تفردت تلك الظاهرة بالجانب الروحي والعقدي الذي تمثل في انتشار الإسلام دينا واحدا ، وعقيدة أقوى في تماسكها ، وتقارب مذاهبها من أية عقيدة قائمة .

علم الله - سبحانه وتعالى - أن عباده لا ينتفعون بمدد ، سوى الدين وهو المدد الذي طواه الله في قوله للملأ الأعلى منذ التدبير في خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(١) . قد وضعه الله أساسا لحياة الإنسان منذ خلقه ، وعلق به عمارة هذه الدنيا : ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٢) . ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ آتَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾^(٣) .

هذا المدد هو الهداية السماوية ، التي تعهد الله بها عباده ، وآمنت به الأرواح الصافية المؤمنة بمهمة الإنسان في هذه الحياة .

(١) سورة البقرة ، آية رقم ٣٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٣٧ - ٣٨ .

(٣) سورة طه ، آية رقم ١٣٣ .

وكان مما طلب إبراهيم وولده إسماعيل من ربهما في إسعاد ذريتهما ﴿رَبَّنَا
وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ...﴾ (٤) : طلبا منه ذلك ، وهما يعلمان أن ذريتهما لا تخلو من تفكير
عقلي ، تستطيع أن تتخذ منه منهج حياتها ، وتنظيم شئونها ، لعلهما أن الفكرة
الإنسانية مهما سميت ومهما تجرد أصحابها من الأغراض ، فهي بمكان من
الضعف .

وعلى هذا الأساس تعهدت العناية الإلهية الإنسان في جميع أطواره ترشده إلى
وسائل الإصلاح التي يحتملها استعدادة ، فأرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب
وسارت في هذا السبيل ، حتى وصل الإنسان إلى درجة من الاستعداد العقلي
والنضوج الفكري ، والتفتح الذهني لرسالة عامة خالدة ، تضمنت بنصوصها
وإشاراتها جميع ما يحتاجه الإنسان .

وبهذه الرسالة الخالدة ، بعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - بعد أن
هيا له الزمان ، والمكان ، واصطفاه ، واختاره ، وأنزل القرن الكريم بعد أن جعل
العرب أهلا للغة القرآن ، ليبلغوا الناس القرآن ، وينشروا في الأرض الإسلام .
وبه أكمل الله هدايته ، وأتم على عباده نعمته ، وكان محمد - صلى الله عليه
وسلم - خاتم الأنبياء والرسل .



(٤) سورة البقرة ، آية رقم ١٢٩ .